

الفكر الإسلامي الحديث مشكلات وحلول

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد.

فعند الحديث عن مشكلات الفكر نستحضر قول النبي ﷺ {مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ
الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ
وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا
وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَّا مَا هِيَ قَيْعَانُ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ
مَنْ فُقِدَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ
يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ} رواه البخاري ومسلم. فالجميع على يقين بأن الإسلام هو
الرسالة الخاتمة، وأن القرآن الكريم ومعه السنة المطهرة هما كلمة الله الأخيرة لنا . معشر بني
الإنسان . لكن الناس متفاوتون في التعامل مع هذا الوحي الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ما بين
مفرط ومفريط؛ فطائفة قرأت وتدبرت ووعت وأبدعت، وهي الطائفة الأولى التي شربت
وسقت وزرعت، ويمثل هذه الطائفة قائمة طويلة من المجددين الذين أحيا الله بهم ما اندرس
من معالم هذا الدين؛ مصداقاً لقول النبي ﷺ {إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة
سنة من يجدد لها دينها} رواه أبو داود، وطائفة قصرت مهمتها على حفظ هذا الوحي . إن
في السطور أو الصدور . ودونك جهود عظيمة تُبذل لطباعة المصحف الشريف وكتب
التفسير ودواوين السنة، مع مسابقات للحفظ والاستظهار، لكن هذه الطائفة لا تنتفع بهذا
الحفظ ولا تبني به الدنيا ولا تجدد، بل هي جامدة على الموروث، فهي كالثانية التي أمسكت
الماء فنفع الله بها الناس، ولا حديث لنا في هذه الورقة عن طائفة ثالثة استلبت من قبل قوى
الطغيان حتى صارت منتسبة للدين بالاسم لكنها عدوة له بالفعل، فهي التي لم ترفع رأساً ولم
تقبل هدى الله الذي بعث به مُجَدِّدًا ﷺ

وهاهنا أستعرض جملة من العناوين التي تمثل أزمة الفكر الإسلامي الحديث:

1. العلاقة بين العقل والنقل

فآيات القرآن الحاثثة على التعقل والتدبر تبلغ آيات القرآن التي تحض على العقل والتعقل تبلغ تسعاً وأربعين آية، أما الآيات التي تتحدث عن (ج) بمعنى عقل وجوهر الإنسان فهي ست عشرة آية، كما يتحدث القرآن عن (ج) بمعنى العقل في آيتين، وعن الفكر والتفكر في ثمان عشرة آية، ويذكر الفقه والتفقه بمعنى العقل والتعقل في عشرين موضعاً في القرآن، ويأتي العقل بمعنى التدبر في أربع آيات، وبمعنى الاعتبار في سبع آيات، أما الآيات التي تحض على الحكمة فهي تسع عشرة آية، ويذكر القلب كأداة للفقه والعقل في مائة واثنين وثلاثين موضعاً، ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغ في القرآن أكثر من ثمانمائة آية.. وبهذا يتضح لكل من له عقل أن النقل الإسلامي وهو الشرع الإلهي هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقه والتعلم، والعقل الإنساني هو أداة فقه الشرع، وشرط ومناط التدين بهذا الشرع الإلهي؛ ولذلك لا أثر للشرع من دون العقل، كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع

والإشكال القائم في الفكر الإسلامي الحديث ما بين طائفتين؛ إحداهما تريد أن تلغي العقل بما تروج من روايات مكذوبة وأحاديث موضوعة، وخرافات سيطرت على أذهان كثير من العامة، وطائفة تريد كذلك أن تعدو بالعقل قدره حين تجعل منه حكماً على النص،

ويمكننا للفصل بين الطائفتين أن نحدد دور العقل مع النص في هذه النقاط:

أولاً: في استيعاب النصوص المتصلة بالموضوع الذي تتم دراسته، فما أجمل في أحد النصوص قد يكون مفصلاً في آخر، وما أبهم في نص قد يفسر في آخر.

ثانياً: في تمحيص النصوص لاستبعاد الضعيف.

ثالثاً: إعمال العقل مع تقوى الله، ومع كامل الحرص على اتباع هدى الله في استخراج الدلالات العميقة التي تحتويها النصوص .

رابعاً: في نقد النصوص:

- هل هناك تعارض بين النصوص بعضها بعضاً؟ وهل من سبيل للجمع بينهما عند التعارض؟

- هل هناك تعارض بين النصوص الظنية وبين القواعد الشرعية الكلية القطعية؟

خامساً: في تنزيل النصوص على الواقع:

- مع دراسة عملية وميدانية إحصائية للواقع.

2. العلاقة مع الآخر

ونعني بالآخر من ليس مسلماً؛ من مختلف الطوائف والنحل، نجد أن الإسلاميين . على اختلاف جماعاتهم وفي أديباتهم وكتابتهم . ما بين مفرط يريد أن ينزل الآيات في غير مواضعها، ولا يفرق بين معاهد ومستأمن ومحارب، ولا بين كافر شائئ وآخر مسلم، وكذلك يأخذ نصوصاً يقطعها عن سياقها ليمارس إسقاطها على غير الواقع الذي نزلت فيه، وآخر مفرط يريد أن يلغي الفوارق الشرعية بين الإسلام والكفر، بل إن بعضهم لا يريد أن يسمع مصطلحات شرعية كمصطلح أهل الذمة مثلاً، أو مصطلح دار الإسلام ودار الكفر !! وهو في ذلك . زعم . مفكر إسلامي

لقد أثار الغربيون بوسائل شتى حملة مفادها أن المسلم لا يحتمل غيره وأنه يريد للناس جميعاً . من غير المسلمين . أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم أو ينفوا من الأرض . وأعدوا الخطط ليجعلوا من الإسلاميين دعاة الإرهاب المذموم في العالم؛ حتى ترتبط صورة المسلم في

أذهان الناس بمنظر العنف والدماء والأشلاء، وحتى يصير المسلم عند العامة رمز الخراب والدمار، وهاهنا لا بد من أن نحذر الإفراط والتفريط، فإن بعض الناس في سبيل الدفاع عن الإسلام . زعم . يريد أن يلغي الفوارق الشرعية بين المسلم والكافر، ويعمد إلى التلبيس والتدليس حين يقول: بأن الإسلام لا يميز بينهما، وها هنا لا بد أن نشيع بين عامة الناس وخاصتهم أن غير المسلمين ليسوا سواء في نظرة الإسلام إليهم ومعاملته إياهم، ونركز في ذلك على أمرين مهمين:

أولهما: بيان ما يفرضه علينا ديننا من معاملة المسالمين لنا من غير المسلمين معاملة حسنة، وأن نفرق في المعاملة بينهم وبين المحاربين الذين يؤذون المسلمين في دينهم، قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وقد كان النبي ﷺ في سيرته خير مثال للمسلم العادل الذي ينزل كل إنسان منزلته ويعامله بما يستحق من غير حيف ولا ظلم، وقد توضحنا من مزادة مشرقة وأكل من طعام يهودية، وعاد الغلام اليهودي لما مرض وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي.

ثانيهما: هذه المعاملة الحسنة لا تعني المداهنة في الدين؛ بأن نعامل غير المسلم وكأنه مؤمن بالله ورسوله، فكل من بلغته رسالة الإسلام ثم لم يؤمن به ولم يقر برسالة محمد ﷺ، بل أنكر أن يكون محمد ﷺ رسول الله، أو أن القرآن كلام الله، فإنه لا يحق لنا أن نعامله وكأنه مؤمن بالله ورسوله، بل الواجب بغضه والبراءة إلى الله منه (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)

3. العلاقة بين الحاكم والمحكوم

وقد حدث في هذا الباب خلط كثير عند فغام من الناس ما بين مفرط ومفرط، ومن أوجب واجبات الخطاب الدعوي في أيامنا هذه أن يبين للناس واجباتهم تجاه حكامهم، وحقوقهم على رعائهم، حتى يسلم كل امرئ مسلم من الغلو والتقصير ما بين أناس يريدون أن يؤلّوا الحاكم فلا ينتقد ولا يؤمر ولا ينهى ولا ينبه على خطئه، وآخرين لا هم لهم إلا ذكر مثالب الحكام وتتبع زلاتهم وزرع الكراهية في نفوس الرعية تجاههم {ودين الله وسط بين الغالي فيه والجاهلي عنه} فلا بد من ذكر الحقائق الشرعية في هذا الباب، ومن بينها:

(1) السمع والطاعة لهم في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، في غير معصية.

(2) عدم منازعتهم فيما ولاهم الله من أمر المسلمين، بل نعتقد أنهم في بلاء، وندعو لهم بالمعافاة.

(3) الوفاء ببيعتهم، وعدم إعانة الخارجين عليهم؛ قال الإمام القرطبي: "لو خرج خارجي على إمام معروف بالعدالة وجب على الناس جهاده، فإن كان الإمام فاسقاً والخارجي مظهراً للعدل لم ينبغ للناس أن يسرعوا إلى نصرته الخارجي حتى يتبين أمره فيما يظهر من العدل، أو تتفق كلمة الجماعة على خلع الأول؛ وذلك أن كل من طلب مثل هذا الأمر أظهر من نفسه الصلاح حتى إذا تمكن رجع إلى عادته من خلاف ما أظهر" 1

(4) بذل النصيحة لهم في رفق ورحمة، مع توقيهم ومعرفة حقهم.

(5) عدم متابعتهم في الباطل وتزيين المنكر لهم، بل لا بد من الإنكار عليهم - بالطرق الشرعية - وبيان الحق لهم، والحرص على أمرهم بالمعروف.. عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد بريء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع))، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: ((لا، ما صلوا)).

¹ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/ 273

(6) أداء الصلاة معهم وراءهم ما داموا مسلمين.

(7) هذه الطاعة ليست قاصرة على صنف من الحكام البررة ذوي النسب الشريف، بل هي لكل من ولي أمر الأمة مسلماً، براً كان أو فاجراً، شريفاً أو وضيعاً

4. الخطاب الدعوي

نجد تبايناً كبيراً في الخطاب الدعوي الذي يتبنى حتى داخل الجماعة الواحدة، ولعل المرء لو تأمل مصطلحات مثل (التسامح الديني . التعايش الحضاري . تخفيف التوتر . ضبط النفس . الانكفاء الديني . الحرية المطلقة) يجد أن الفهم لها في غاية التباين ما بين شخص وآخر داخل الجماعة الواحدة، وأكثر من ذلك هناك خلافات تاريخية وعقدية تلقي بظلالها على واقع المسلمين المعاصر، وليس الناس . أعني الإسلاميين . على كلمة واحدة تجاهها، ولعل أبرز مثال يتضح منه صحة ما أقول قضية التشيع التي يشكو منها ويتخوف كثير من الإسلاميين في بلاد شتى، والسؤال: ما هي حقيقة موقف الفكر الإسلامي المعاصر من التشيع في قضاياها المختلفة؟ هل الشيعة الإمامية الاثني عشرية من طوائف المسلمين الذين لا يختلفون عن غيرهم إلا في أمور فرعية هينة؟ أم أن الخلاف بينهم وبين جمهور المسلمين إنما يتناول قضايا عقدية وأصولية تتعلق بجوهر الدين وحقيقته؟ تأمل تصريحات الإسلاميين المفكرين هنا وهناك تجد العجب العجاب

كلمات مثل (الجهاد . الولاء والبراء . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هل هي من الوضوح في أذهان الناس بحيث يجتمعون عليها أم أن غباراً كثيفاً يثار حول من يتداولونها؟ حتى أصبح من المؤلف أن ترى على صفحات الدوريات وفي تصريحات المسئولين الغربيين ومن والاهم من بني جلدتنا . من خلال حرب المصطلحات . تسمية جهاد الدفع إرهاباً والصدقات تمويلاً للإرهاب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطرفاً وتشدداً

5. المصطلحات

هل من حرج في استخدام مصطلح (الديمقراطية) للدلالة على نوع معين من أساليب الحكم القائمة على حرية الناس في اختيار من يحكمهم، ومحاسبة هذا الحاكم وانتقاد تصرفات جهاز الحكم، وقيام هيئات رقابة تحدد مسار الدولة مع حرية القضاء والصحافة؟ أم أن استعمال هذا المصطلح هو الكفر بعينه لأنه يعني الرضا بحكم الطاغوت؟ وقل مثل ذلك في مصطلحات أخرى كإسقاط مصطلح (الجاهلية) على مجتمعات المسلمين المعاصرة

6. الدولة الإسلامية بين المثال والواقع

إن الدولة التي نحلم بها هي الدولة القائمة على العدل والشورى وصيانة الأموال والحرمان، دولة تمثلها سياسة أبي بكر وعمر، وجهاد خالد والقعقاع، ولكن حتى نصل إلى تلك الدولة ألا يسعنا أن نحبي في كل يوم سنة وأن نميت بدعة؟ أم المطلوب منا - معشر الإسلاميين - أن نكثر من النقد وتعداد المساوىء والدلالة على العورات والسوءات حتى نغير صدور العامة، إن نفرأ من الناس لا ينفك عن التذكير بسيرة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ولكنه يغفل عن رعية عمر بن عبد العزيز!! والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الدولة لا تستحق وصف (الإسلامية) إلا إذا كانت على حال من الكمال يضاهي ما كان عليه الأمر أيام الراشدين أم أن في المسألة سعة؟

7. حصر الدين في قضايا معينة

بعض الإسلاميين لا هم له إلا الحديث عن الخلافة، وكأنها عصا موسى التي يضرب بها الحجر ثم يضرب بها اليم ويلقيها بحضرة فرعون، فتحل المشاكل كلها، غافلين عن أن مصائب جمة قد حلت بالأمة - فيما مضى - والخلافة قائمة!! وآخرون ليس لهم إلا مظاهر من الالتزام بالدين في الهيئة والثياب، وتجد الشاب - الآن - وهو حديث عهد بالدين يكثر من السؤال أول الأمر عن اللحية والمصافحة والنقاب والسواك والغناء ويجعل من هذه

القضايا معقد ولاء وبراء، وطائفة ثالثة هي من قضايا العلم والعمل بمكان بعيد لكنها غارقة في أتون السياسة ودهاليزها، وكأنهم لا يلزمهم ما يلزم عامة المسلمين من الأوامر والنواهي؛ حتى لربما تجد بعضهم متساهلاً بأبسط شعائر الإسلام، مما يدل على أن أزمة أصيلة في الفكر قائمة

8. اختلال مفهوم الالتزام عند كثير من الشباب

الالتزام بالدين يعني الاجتهاد في العمل بأحكامه والتأدب بأخلاقه والنزول على قواعده في الفكر والسلوك؛ دون تغليب جانب على آخر، ويستحضر المسلم في هذا قول النبي ﷺ "لا بد لهذا الدين ممن يحيط به كله" وقول الصديق أبي بكر رضي الله عنه "أينقص الدين وأنا حي" فلا يقع فيما وقع فيه كثيرون من الإفراط أو التفريط، ومن نظر إلى حال كثيرين يجد أنهم قد وقعوا في شيء من ذلك؛ إما باعتقاد بعضهم أن الدين إنما يتمثل في أفعال القلوب وحدها، وهو ما يعبر عنه بقوله (المهم ما في القلب) وآخرين ظنوا أن الدين مظاهر وأشكال في لحي تطول وشوارب تقص أو أثواب تقصر وما بعد ذلك لا يهم، وفريق ثالث اتجهت عنايته إلى الالتزام بالأذكار اللسانية دون اهتمام بما سوى ذلك

9. الخضوع لضغط الواقع

مجازاة الواقع بدعوى صعوبة تغييره أو أنه من باب الضرورة (ولاية الكافر على المسلمين - الاختلاط - إقرار اليهود على ما اغتصبوه من أرض فلسطين)

10. الفهم السحري الخرافي للكون والحياة ومظاهر الطبيعة

فلا حديث لهؤلاء إلا عن الكرامات وخوارق العادات، وكذلك الحديث عن آخر الزمان وأشراط الساعة، مع التركيز على خروج المهدي وأنه قد اقترب زمانه، ويصحب ذلك كله جهل بفقہ السنن الكونية التي أقام الله عليها الحياة